عبدالله البحري:

جمعية الاستقامة في زنجبار قامت بأدوار دينية واجتماعية بارزة

■ جمعية الاستقامة الخيرية الزنجبارية خلية نحل من العمل الخيري تعطي شهد الفعل لكل إنسان يعمل من أجل إعانة المحتاج، وفي شرق إفريقيا تكمن روابط قربى قبل أن تكون إنسانية، تشكلت مع تاريخ من الحضور العماني في تلك الأمكنة الإفريقية، وهكذا يعمل أمين عام الجمعية الشيخ عبدالله بن عبدالله بن حميد البحري على تعزيز هذا الحضور التاريخي والإنساني عبر فتح دروب من الخير أمام عشرات الآلاف من المحتاجين للعلم والمعرفة قبل أن يكون للمأكل والملبس.■

زنجبار: خاص للتكوين

«التكوين» تنقلت بين صروح أقامتها جمعية الاستقامة في زنجبار، برفقة الشيخ عبدالله البحري، الذي يحمل الجنسية التنزانية، حيث لا يرى في ذلك إلا تعزيزا للوجود العربي، خاصة العماني، في هذه الجزيرة، باعتباره جزءا من هوية الأرض أولا وأخيرا.

يتحدث البحري أولا عن مرحلة الانقلاب التي صادرت الكثير من الأوقاف، كان الحديث عن ذلك يدور في مسجد السيد حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي، بحضور الوالد سليمان بن خلف بن سنان الجابري الذي بقي في هذا المسجد منذ عام ١٩٧٣، وهو من مواليد زنجبار وعائلته موجودة معه، يشير البحري إلى أنهم قاموا ببيع مخطوطات خاصة لعملية ترميم المسجد والتي بدأت عام ٢٠٠٢.

وكان الحديث عن جمعية الاستقامة ثريا، بدأ بتأكيد البحري أنهم ليست لديهم مشاكل مع أصحاب المذاهب الاخرى، ولا الأديان الأخرى، يشير إلى فكرة التعايش

الدائمة، وإلى تخريج الدفعة السابعة عشرة من طلبة المعهد، فيما يبتعثون الطلبة المتفوقين إلى السلطنة لإكمال دراستهم، والعودة إلى زنجبار ليكونوا معلمين.

يضيف الشيخ عبدالله البحري أن الكتاتيب منتشرة في أماكن وجود العمانيين، بينما تستمر الدراسة في المعهد الإسلامي أربع سنوات مع وجود مدرسة نظامية تتبع المعهد، مشيرا إلى أنه في منطقة فوني يوجد عدد من العمانيين راح الكثير منهم ضحية الانقلاب عام ١٩٦٤، بينهم عائلات من العوامر والبوسعيد، وأحيت جمعية الاستقامة موضوع الانتساب للقبيلة أخيرا بعد أن كان ممنوعا لفترة ثلاثة أجيال مما أدى لفقدان البعض معرفتهم للقبيلة التي ينتسبون إليها.

يستعيد عبدالله البحري ذكريات تعود إلى عام ١٩٩٨، حيث بدأوا بمسجد صغير قام يؤذن فيه رجل يسمى علي بن عبدالله الهنائي لمدة أسبوع دون أن يأتي إليه أحد، ثم بدأ الأشخاص يتوافدون إلى المسجد تدريجيا حتى ضاق بهم، يشير إلى أن جمعية الاستقامة تشرف حاليا على عدد كبير من المساجد والمدارس وغيرهما.

يشرح الشيخ عبدالله البحري أهداف الجمعية بالقول إنها جمعية إسلامية خيرية اجتماعية، ثقافية غير سياسية، وقد تم تسجيلها رسميًا تحت قانون المنظمات غير الحكومية في تاريخ ١٦ مارس ١٩٩٦، وتهدف إلى تقديم خدمة التعليم الديني الإسلامي والإسهام في إحياء الثقافة الإسلامية العربية في المجتمع التنزاني من خلال عمارة المساجد، والعمل على مساعدة المحتاجين. كما تهدف إلى الحفاظ على اللغة العربية الأصيلة ولم شمل العمانيين واستعادة هويتهم وتوحيد فكرهم وحماية المجتمع والجاليات من الانحراف الفكري والسلوكي والسياسي، كما تسعى إلى إتاحة الفرص أمام الطلاب والطالبات للدراسة الجامعية داخل زنجبار وخارجها، وإيجاد فرص العمل للباحثين عن العمل داخل مؤسسات الجمعية أو غيرها من المجالات، مشير إلى أن من أهم مصادر دخل هذه الجمعيه ما يتبرع به المحسنون من السلطنة والتبرعات من أبناء الجاليات داخل الجزيرة وكذلك الاستثمارات والأنشطة التجارية التابعة للجمعية.

ويتحدث البحري عن جهود الجمعية قائلا: إنها قامت بإنشاء وإدارة ١٧ مدرسة دينية في مدينة زنجبار وبلغ عدد تلاميذها ٤٠١٥ تلميذًا وتلميذة، كما أنشأت مدرسة إسلامية نظامية يدرس فيها الطلاب من مرحلة الروضة إلى المرحلة الثانوية وقد بلغ عدد الطلاب ٩٠٣ طلاب وطالبات خلال العام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، كما أنشأت معهدا إسلاميا بالمحافظة الجنوبية من مدينة زنجبار يبعد ١٧ كيلومترا عن مركز المدينة ويستقبل الطلاب محلياً وإقليمياً، ونظرا لأهمية إعمار المساجد فقد قامت الجمعية بصيانة العديد من المساجد وبناء عدد آخر منها في مختلف المناطق في

زنجبار، فقد بلغ إجمالي عدد المساجد ٥٣ مسجداً منها ١٠ جوامع، وتشرف الجمعية على إدارتها بالكامل إلا من بعض المساجد التي يقوم أصحابها بمتابعتها بالتعاون مع الجمعية، وتعمل الجمعية على توفير المصاحف والكتب الدينية والسجادات وتقدم الصدقات والتمور والمساعدات الانسانية الأخرى خلال أيام شهر رمضان المبارك.

ويقود الحديث مع الشيخ عبدالله البحري عن العمل الإجتماعي الذي تقوم به الجمعية فقال في هذا الجانب هناك العديد من الإنجازات في مجال الخدمات الاجتماعية، إذ عملت على حفر الآبار وإعانة ٦١ شابًا ماديًا على الزواج، وكفلت ٨٦ يتيما و٨٥ فقيرا للتعلم في المدرسة النظامية، كما وتملك الجمعية إدارة مستشفى الرحمة الذي قام بتهيئة مراكز عمليات جراحية بدون مقابل لذوي الدخل المحدود، وبه قسم الولادة ورعاية الأمومة، وتجمع الصدقات والمعونات وتوزع على من يستحقها بشكل سنوي فبلغ عدد العوائل المستفيدة نحو ٦٤٠ عائلة. وتسعى الجمعية في خططها المستقبلية إلى تطوير المدارس للارتقاء بالمستوى التعليمي للمدارس النظامية من خلال العمل على توظيف المعلمين ذوي الخبرة والكفاءة وإنشاء الكليات التقنية وملحقاتها التي تساعد على ذلك، وزيادة المرافق المدرسية، وإعطاء البنات حقهن في التعليم بإنشاء معهد إسلامي خاص للبنات، كما تبحث عن المشاريع التجارية وإيجاد المباني للإيجار سعيًا منها للمساهمة في تيسيير أعمالها.

يضيف البحري: ظلت حركة التعليم في ازدهار في مدينة زنجبار إلى أن حدث انقلاب يناير ١٩٦٤ الذي نص على قانون إلغاء تعليم اللغة العربية ومنع التعليم العربي والإسلامي ككل في المدارس الحكومية، وكانت المأساة كبيرة للعلماء والشيوخ والطلاب إذ أحرقت كتب اللغة العربية وكتب الدين الإسلامي من قبل الحكومة التي صادرت جميع الممتلكات وأصدرت عقوبات صارمة للمخالفين، واستمر الحال هكذا ٢٠ عامًا، وزنجبار في عصر مظلم خاصة في مجال التعليم الإسلامي، أما اليوم فقد تغيرت الظروف وانتهى ذلك العصر المظلم، وزنجبار اليوم في تطور واضح في التعليم ولجمعية الاستقامة الفضل الكبير في ذلك، فمنذ بداية التطوير مر التعليم بمراحل أربع ولكل مرحلة ظروفها الخاصة وهي:

أن مرحلة الكتاتيب عام ١٩٨٤ كانت البداية الفعلية للصحوة في تاريخ العمانيين في زنجبار، فكانت الخطوة الأولى للتحدي والمقاومة والرغبة في المحافظة على هويتهم الدينية والعربية افتتاح مدرسة صغيرة في مسجد الشقصي في حي مكونازيني التي جمعت الأولاد العمانيين الذين لم يتجاوز عددهم عشرين طالبا من الذكور فقط، ومن ثم توسعت نشاطات المدرسة إذ بلغ عدد الطلاب ٤٠٠٠ طالب وطالبة منهم ١٢٠٠ عماني.

ويتطرق البحري إلى مرحلة تأسيس معهد الاستقامة للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٥ الذي يتبع للجمعية، يقول: أُنشئ المعهد في مسجد الاستقامة في حي شنغاني وكان يضم ٣٢ طالبا وفي عام ١٩٩٨ تحول مقر المعهد إلى مبنى لمدرسة اللمكي للبنات، وفي عام ٢٠٠١ انتقل المعهد إلى مقره الحالي في تونغو. ومن أهداف المعهد نشر الإسلام وإنشاء مركز إسلامي ثقافي لأفريقيا وليس لزنجبار وحدها، والنهوض بمستوى التعليم الديني والعلوم الأخرى، أما بالنسبة لنظام الدراسة فهناك ثلاثة فصول لكل عام، وتقسم الدراسة فيه إلى مرحلتين هما المرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية والتي يدرس فيها المواد الشرعية واللغة العربية وتمنح في نهاية العام شهادة إتمام الدراسات الإسلامية للطلاب.

اما المدرسة النظامية التي بدأت عام ٢٠٠٥، فيشير عبدالله البحري إلى أنه تم تطوير المنهج الدراسي بها ليتواكب مع متطلبات العصر، وكان نظام التعليم جديدا إذ انقسم النظام التعليمي إلى ثلاث مراحل متصلة بدءًا من المرحلة التأسيسية (الروضة) مدتها سنتان، ثم المرحلة الابتدائية والمتوسطة لمدة سبع سنوات، ومن ثم المرحلة الثانوية الأولى مدتها أربع سنوات، ويعيش الطلاب فيها الجو الإسلامي الصحيح إذ يتم إيقاف الدراسة في أوقات الصلاة وتعتاد الفتيات على إرتداء الحجاب ويمنع الاختلاط فيها.

ويشير البحري إلى خطوات نحو إصلاح التعليم وتطويره قامت بها الجمعية عام ٢٠١٢، شملت إصلاح الإدارة وتأسيس الهيكل العام لها مع اللوائح والأنظمة، وتطوير جودة التعليم لجميع المراحل الدراسية، وإصلاح الحال المعيشي للمعلم من خلال رفع الأجور وزيادة المميزات، كما شمل الإصلاح على استقطاب الكفاءات ذات الأصول العمانية من الرجال والنساء للعمل في مؤسساتها وفتح قسم التعليم العالي (كلية التقنية وكلية المعلمين ومعهد التدريب المهني).

أما بالنسبة للخطط الدراسية فهي خطط مرسومة بشكل منظم، ويعمل بها الطاقم التدريسي حسب جداول موضوعة ومعتمدة، ولكل مرحلة من المراحل (المرحلة الإعدادية، والمرحلة الثانوية، وقسم التعليم الشامل) خططها الدراسية الأسبوعية المدروسة.